مؤسسة الرسول الأكرم الثقافية

العراقيون ومواصلة اليقظة

في رؤى

المرجع الديني آية الله العظمى

السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله

العراقيون ومواصلة اليقظة

في رؤى آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله

الطبعة: .....الثانية ـ شوّال ١٤٢٦هـ

الناشر: .....ياس الزهراء سلام الله عليها ـ قم

اعداد: .....مؤسسة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله

عدد المطبوع: ..... ١٠٠٠٠ نسخة

الفلم والزنك: .....قم ـ نينوى

السعر: ..... ٢٠٠ تومان

الفهرس

المقدمة ٥
شكر الله على زوال الطاغية ١١
حكومة الأكثرية ١٣
الاستلهام من حكومة أمير المؤمنين عليه السلام ١٧
الدستور العراقي والإسلام ٢٧
الإسلام يؤاخي بين كلّ العراقيين ٣١
دور العشائر والأخذ بزمام المبادرة ٣٥
الصلح خير من الخلاف والشقاق ٤٢
مسؤولية الإعمار والبناء ٤٥
الإعمار الثقافي والاستلهام من أهل البيت عليهم السلام ٤٧
كربلاء قلعة حصينة في مواجهة المدّ الشيوعي ٥٢
عراق اليوم يبحث عمّن يتحمّل المسؤولية ٥٦
ما كان لله ينمو ٦٠
(قل كلٌّ يعمل على شاكلته) ٦٢

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم الى قيام يوم الدين.

العراق؛ بلد الأنبياء والأئمّة الأطهار سلام الله عليهم، عانى ويعاني الكثير من الويلات والمآسي والحرمان، رغم ما يمتلك من طاقات وثروات. لقد ذاق العراق منتهى الخوف والرعب، وعانى من أقسى حالات الظلم والاضطهاد، حين تلاقفته أيادي الظلمة. ومرّت على العراق الفرص دون استثمار في سبيل تخليصه من تلك المعاناة.

من جهة أخرى كان لعلماء أهل البيت سلام الله عليهم

الدور الأكبر في دفع عجلة الحياة في العراق، وحفظ ما تبقّى من قيم ومفاهيم سامية وطيّبة لدى العراقيين، لاسيّما المؤمنين المخلصين منهم.

وأسرة العلم والفقاهة والاجتهاد؛ أسرة الشيرازي بما أنجبت من علماء مجاهدين كانت في مقدمة من تحمّل المسؤولية، ووعى دوره في سبيل نشر الإسلام الذي هو خير نظام، والروح الذي ينبغي أن يسري في عروق العراقيين، لتنبض بالخير والسعادة والتطوّر.

«ويل العراق؛ فليله لا ينقضي... حتى تقوم حكومة الإسلام»[1].

وهذه الأسرة، سواء كانت في العراق أو خارجه، لم تكن بمنأى عن واقع هذا البلد المضطهد وما

(١) من أشعار الشهيد السيد حسن الشيرازي قدس سره.

يحتاجه من رؤى ووسائل للتغيير نحو الأفضل، والدفع بأبنائه إلى بناء كيانهم كما تتطلّبه الحياة الحرة والكريمة.

والمرجع الديني الكبير سماحة آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي حفظه الله، وهو سليل هذه الأسرة المجاهدة ـ أسوة بمن مضى من أعلامها ـ لا يضيّع فرصة في التوجّه نحو خلق حالة من الوعي بين صفوف شعبه، بل إنّه ليخلق الفرص الطيّبة خلقاً في سبيل إنقاذ العراق والعراقيين مما حلّ بهما من دمار وخسارة طيلة عقود بل قرون من الزمن.

فأصبح دام ظلّه ـ شأنه في ذلك شأن العديد من مراجع الشيعة ـ محوراً هامّاً لتطلّعات وتحرّكات الشعب العراقي، حتى صار بيته محطّاً للوفود

المتواترة من كلّ حدب وصوب من كلّ أرجاء العراق، حيث يقوم سماحته بتقديم التوجيهات القيّمة لها؛ لتكون بمثابة المنهاج العملي لتحقيق الأهداف والتطلّعات السامية، ولتكون أيضاً البلسم الشافي للجراحات العراقية التي تسبّبت في إيجادها قوى الشرّ والظلام الطامعة في أرض العراق وثرواته.

بين يديك ـ عزيزي القارئ ـ بعض التفاتات سماحته وتوجيهاته القيّمة التي أدلى بها لبعض الشخصيات الوافدة عليه ـ من عموم المجتمع العراقي ـ فرادى أو جماعات، حيث يبيّن لهم من خلالها، لزوم أن يعي العراقيون ضرورة التشخيص الدقيق لمشاكل العراق، كما لابدّ لهم من التكاتف لحلّ تلكم المشاكل والأزمات لاجتثاثها جذرياً، دون الاكتفاء بأنصاف الحلول التي من شأنها أن تزيد

الطين بلّةً.

وهذا يبرهن على بالغ جهده ـ حفظه الله تعالى ـ في أن يرتقي بوعي العراقيين ويقرّبهم من حقيقة أزماتهم ومحاولة إسعافهم بالعلاج الأمثل في حلّها، موضحاً لهم أنّه الغاية في البساطة، فيما إذا ما تمسّك الفرد والمجتمع بأصالته ودينه الحنيف وأخلاقه الطيّبة الفاضلة، وابتعد عن الأنانية والمصلحية، وإذ ذاك سيعرف العراقيون مكامن الخطر، فيميّزوا بين الصديق والعدوّ، ويعملوا على توفير الوسائل الكفيلة لشقّ طريقهم نحو البناء والتطوّر، بعيداً عن الشعارات الفارغة والخطب الرنّانة واللهاث وراء السراب الكاذب.

وإزاء هذا الجهد الطيّب، وجدت (مؤسّسة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الثقافية) نفسها ملزمة ـ بما

هو متاح لها من الإمكانات ـ بأن تقوم بجمع ونشر ما توافر لديها من كلمات سماحته فيما يخصّ الشأن العراقي، وكلّها أملٌ في أن تلبّي رغبة المؤمنين في التعرّف على فكر المرجعية، وعميق ارتباطها واهتمامها بهموم الأمّة الإسلامية والشعب العراقي خاصّة، كما تطمح المؤسّسة إلى جمع كلّ ما يصدر عن سماحته من تصريحات وإنجازات علمية وعملية خاصّة بهذا الشأن الهامّ في الوقت الراهن، ليتمّ عرضها للمهتمّين والمتابعين، كما تحرص كلّ الحرص على إتقان نشاطاتها على صعيد نشرها الفكري والثقافي عبر الكتب والدوريات أو موقعها على شبكة الإنترنت، والله وليّ التوفيق.

مؤسسة الرسول الأكرم الثقافية

شكر الله على زوال الطاغية

«الحمد لله قاصم الجبّارين مبير الظالمين، مدرك الهاربين نكال الظالمين صريخ المستصرخين موضع حاجات الطالبين معتمد المؤمنين»[1].

أشكر الربّ المنّان على نعمة زوال الطاغية الذي عمّ بظلمه الشعب العراقي وشمل الأمّة الإسلامية، بل الإنسانية جمعاء، وأدعوه متضرّعاً أن يكمل نعمته علينا بانتهاء كلّ ذيول المأساة الكبرى التي دامت عقوداً طويلة، ويتمّها بشروق فجر الغد السعيد لهذا الشعب الأبيّ الصابر.

(١) مقطع من دعاء الافتتاح المرويّ عن الإمام الحجّة المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، انظر إقبال الأعمال لابن طاوس: ١٤٠.

ويملأني التفاؤل بمستقبل مشرق للعراق، ويحدوني شوق كبير لزيارة العتبات المقدّسة ومجاورة أئمّة الهدى صلوات الله وسلامه عليهم في العراق.

لا ريب أنّ المشكلات التي أعقبت زوال الطاغية مثلها مثل الأوساخ والأتربة المتراكمة في بيت مهمل، إذ لابدّ من توقّع تصاعد الغبار لدى كنسها وإزالتها. فهذه المشاكل والأزمات كلّها متوقّعة لبلد كالعراق الذي عاش عقوداً مظلمة وصعبة قلّ نظيرها، في التاريخ، أو في تاريخ العراق على الأقلّ، إن لم نقل عديمة النظير. فالأمر بحاجة إلى صبر وحنكة ووعي ومضي زمان من أجل البناء، لكي ينعم الجميع ـ إن شاء الله تعالى ـ بوافر النعم في جوار أهل البيت سلام الله عليهم وإنني متفائل لذلك للغاية. وما توفيقي إلا بالله العليّ العظيم.

حكومة الأكثرية

أودّ أن أذكّر إخواني العراقيين بأمرين جعلهما الله تعالى مفتاحاً للخيرات والبركات، وهما: «الإيمان» و«التقوى» حيث قال سبحانه وتعالى: «***ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض***»[1].

فبهما يمكننا التعاون جميعاً والتكاتف من أجل صنع عراق مستقلّ تتوّج كلّ قطاعاته بالعزّ والفخار.

وبعد فلابدّ من بذل المساعي الحثيثة لإقامة حكومة «الأكثرية العادلة» وفق قانون مستمدّ من القرآن الكريم والسنّة المطهّرة المرويّة عن النبيّ

(١) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

وأهل بيته الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، توخّياً في الابتعاد عن كلّ ما من شأنه أن يعيدنا الى التجربة التاريخية المُرّة التي أنتجت المآسي الكبرى طيلة عشرات السنين بعد أن تمخّضت عن «حكومة الأقلية» جرّاء «الابتعاد عن قانون السماء»؛ يقول الله تعالى: «***ومن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكاً***»[1].

لقد ابتلي العراق بلد المقدّسات والأضرحة الطاهرة، ومنذ سنين مديدة، بالتعرّض لألوان العذاب والظلم، وقد عاش أهله أقسى ما يمكن أن يعيشه شعب في وطنه، رغم ما يمتاز به هذا البلد من إمكانات اقتصادية واجتماعية وثقافية هائلة؛ فقد حباه الله تعالى بثروة النفط والماء والأرض الطيّبة، فضلاً عن كونه مهوى قلوب المسلمين وليس الشيعة

(١) سورة طه، الآية: ١٢٤.

وحدهم، كما يزخر ومنذ القدم بينابيع العلم والمعرفة كالحوزات والمدارس الدينية والجامعات والمعاهد العلمية التي كانت تمثّل مصدر إلهام للمسلمين، كما أن تاريخه العتيد قد أكسب شعبه من الوعي والاستعداد الذهني ما له أن يقفز بالحاضر والمستقبل إلى أرقى الطموح.

غير أنّ ما عاناه العراق والعراقيون على مرّ الأزمنة والمراحل المتعاقبة ما يمكن تسميته بمشكلة إدارة البلاد وطبيعة نظام الحكم فيه.

إنّ حكومة الأكثرية يؤكّدها القرآن الكريم من خلال قوله تعالى: «***وأمرهم شورى بينهم***»[1] والشورى تعني بحث قضيه معيّنة من قبل مجموعة ثمّ الأخذ بما يقوله الأكثر بعد مداولة الآراء وتقديم الأدلّة من

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٨.

قبل أفراد تلك المجموعة. فإذا كان الله عزّوجلّ قد أمر بالتشاور في مورد قضية كقضية فطام الصغير بين الأب والأمّ، لتحاشي الاستبداد واحتمال حصول النفرة[1]، فكيف بقضية حكومة بلد فيه الملايين من البشر يتلهّفون إلى العدل وسلطة الحقّ.

والقوانين العالمية ـ أو مجالس الشعب ـ في أغلب بلدان العالم تنصّ على حكومة الأكثرية[2].

أمّا التجارب التاريخية، ولاسيّما تلك التي شهدها العراق وذاق منها مختلف أنواع المحن وذاق أبناؤه مرارتها وعذابها طيلة عقود، من الزمن، فتشير إلى مأساة تسلّط الأقلية على الأكثرية.

(١) «***... فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما***» سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

(٢) التي تعني سلطة رأي الغالبية من الناس مع حفظ حقوق الأقلية وعدم اضطهادهم.

صحيح أنّ العراقيين إخوة، لكنّ هذه الحقيقة لا تستدعي ابتلاع حقّ الأكثرية، إذ لا معنى لأن يأكل أحد الأخوين حقّ أخيه بحجّة الأخوّة.

وهذا الحقّ يبقى محفوظاً للأكثرية ولها المطالبة به دوماً، أما إذا عادت الأقلية إلى التفرّد بالسلطة، فإنّ العراق سيدخل في نفق مظلم آخر قد لا يخرج منه إلى عقود أخرى من الزمن، بما يختزل ذلك من وقوع المظالم وتعرّض المواطنين لأنواع المآسي والويلات.

الاستلهام من حكومة الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه

إنّ الكتل والأحزاب والهيئات الشعبية الموجودة في مجتمعنا اليوم، يجب أن توظّف نفسها في عملية البناء والتطور والرقيّ للوصول بالأمّة المسلمة إلى التطبيق الأمثل لشريعة السماء، كما رأينا ذلك في ظلّ

حكومة رسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهما وآلهما.

لقد كان الإمام عليّ سلام الله عليه يرأس أكبر وأقوى حكومة على وجه الأرض، إذ كانت حكومته تضمّ قرابة خمسين دولة من الدول المعاصرة، كما كانت أقوى حكومة في العالم يومذاك. وكانت الدكتاتوريات والأنظمة المستبدّة هي التي تحكم بقية بقاع العالم، إلا أنّ التاريخ سجّل لنا ـ حتى على لسان أعداء الإمام سلام الله عليه ـ ما لم يسجّله إلا لأخيه رسول الله صلى الله عليه وآله، منها ما روي أنّه سلام الله عليه كان أوّل من سمح بالتظاهر السلميّ ضدّه، وذلك حينما أصدر سلام الله عليه أمراً بإبطال العمل ببدعة حدثت في عصر الخليفة الثاني، ولم يلقَ ذاك الأمر ترحيباً من قبل مجاميع اعتادوا سنين على ممارسة تلك البدعة، فخرجوا في مظاهرة ضدّه، وعندما نقل الإمام الحسن

سلام الله عليه خبر التظاهرة لأمير المؤمنين سلام الله عليه أمر بتركهم وشأنهم، ولم يعاقب أحداً منهم، وتراجع عن إلزامهم بالأمر[١].

(١) عندما حلّ شهر رمضان المبارك في السنة الأولى من حكومة الإمام أمير المؤمنين نهى صلوات الله وسلامه عليه أن تصلّى النافلة في ليالي شهر رمضان المبارك جماعةً وأوصى بأن تصلّى فرادى، كما سنّها رسول الله صلى الله عليه وآله، محتجّاً عليهم بقوله سلام الله عليه: إنه ما زال هناك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من يشهدون أنّه صلى الله عليه وآله جاء إلى المسجد الليلة الأولى من الشهر الكريم يريد أداء النافلة فاصطفّ المسلمون للصلاة خلفه فنهاهم وقال: هذه الصلاة لا تؤدّى جماعة ثم ذهب إلى بيته للصلاة.
إلا أنّ أولئك الذين اعتادوا على أدائها كذلك طيلة سنين لم يطيقوا منعها، فخرجوا في مظاهرات تطالب بإلغاء المنع، وكان شعارهم «واسنّة عمراه».
فماذا كان ردّ فعل الإمام سلام الله عليه؟
إنّه لم يقمع المظاهرة ولا استعمل العنف والقوّة ضدّهم، بل

نعم، هكذا كانت الحريّة في ظلّ حكم الإمام سلام الله عليه، في الوقت الذي كان العالم كلّه يرزح تحت وطأة الظلم والاستبداد. فما أحرانا أن نقتدي بسيرة إمامنا. ولا شكّ أنّنا إذا التزمنا بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله ومشينا في طريق عليّ سلام الله عليه، لسوف ننعم بكلّ

على العكس من ذلك استجاب لمطالبهم ورفع قرار المنع الذي أصدره بحقّهم وسمح لهم بممارسة ما يريدون، إذ قال الإمام لابنه الحسن سلام الله عليه: قل لهم صلّوا.
روي عن الإمام الصادق سلام الله عليه أنه قال: لمّا قدم أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة أمر الحسن بن علي سلام الله عليه أن ينادي في الناس: لا صلاة في شهر رمضان في المساجد جماعة. فنادى في الناس الحسن بن علي سلام الله عليه بما أمره أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا سمع الناس مقالة الحسن بن علي عليهما السلام، صاحوا: وا عمراه وا عمراه! فلمّا رجع الحسن إلى أمير المؤمنين عليه السلام، قال: ما هذا الصوت؟ ... فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قل لهم صلّوا. تهذيب الأحكام: ٣ / ٧٠ ح ٣٠.

الخير.

لقد كانت الرقعة الواقعة تحت حكم أمير المؤمنين سلام الله عليه تضمّ حوالي خمسين دولة من الدول المعاصرة اليوم، ولكنّه ضرب للناس عامّة والفئات الحاكمة على وجه الخصوص أروع الأمثلة في كيفية تطبيق العدالة والمساواة والحرية وتوفير الرخاء للرعية، فلقد روي أنّه سلام الله عليه مرّ ذات يوم في أحد أزقّة الكوفة مع بعض أصحابه فرأى شيخاً ضريراً جالساً على قارعة الطريق قد مدّ يد الحاجة للآخرين، فاستاء صلوات الله وسلامه عليه وسأل من كان معه قائلاً: «ما هذا؟»[1] فقيل له بأنه شيخ نصراني نبذه أهله بعد أن أعياهم أمر رعايته، فأنّب الإمام أصحابه مؤاخذاً إيّاهم على استعمال الرجل شابّاً والتغافل عنه

(١) تهذيب الأحكام: ٦/ ٢٩٢، رقم ٨١١.

شيخاً بعدما بدت عليه أمارات العجز والشيخوخة.

والمُلفت أنه سلام الله عليه لم يسألهم عن هوية الرجل أبداً؛ بل قال: «ما هذا؟» أي أنه استنكر الحالة نفسها، وهذا يدلّ على روعة ملامح النظام الإسلامي في ظلّ الرعاية الاجتماعية والاقتصادية لجميع المواطنين، بغضّ النظر عن هويّتهم الشخصية أو مشاربهم الاعتقادية. ثم أمر له سلام الله عليه بعطاء يكفل له عيشاً كريماً. مما يدلّ على أنّ القضاء على مثل هذه الظاهرة هو من سنخ مسؤولية الحاكم والحكومة.

ولكن بعد انجلاء ذلك العهد العلويّ العظيم، أخذ العراق يعاني سوء الإدارة وظلم الحاكمين وتناسي أوامر القرآن الكريم وسنّة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وانزواء نهج أمير المؤمنين سلام الله عليه وحكمه الرائع في العالمين بعدما علّم المسلمين مبادئ الحكم العادل

وبيّن لهم أدقّ التفاصيل التي تضمن للمحكومين حقوقهم. وهكذا كانت سيرة الأئمّة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم تجاه محبّيهم وأعدائهم، مما يدلّ على وجود نظام إسلامي متكامل للحكم، بعيداً عن الشعارات الزائفة التي يرفعها هذا الحاكم أو ذاك؛ إذ الأئمّة من آل البيت سلام الله عليهم كانوا يفعلون ما يقولون، على أفضل وأدقّ ما يكون الفعل الذي يستقونه مباشرة من تعاليم القرآن الكريم وسنّة جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

إنّ التاريخ قد أثبت أنّه ما لم يَسُدْ قانون السماء في المجتمع، وما لم تتفشّ العدالة المحمدية العلوية، فإنّ ظلم الطواغيت العتاة سيستمرّ. وأمام هذا التاريخ السياسي الذي بنى لبناته الأولى أعداء الحقّ والفضيلة ممن تزيّى بزيّ الاسلام كالأمويين والعباسيين

والعثمانيين ومن شاكلهم، يبقى الإنسان حائراً أمام ما جرى، ولا يزال منهم من أنواع الظلم والاضطهاد.

فبينما تجد بصائر النور والعدل والمحبّة والرفاه تشعّ بها سيرة عليّ سلام الله عليه خلال مدّة حكمه التي لم تستمرّ أكثر من خمس سنوات؛ لتغمر الإنسان بكلّ ما هو خير ونافع للبشرية أجمع، تجد عند مناوئيه الجريمة تلو الجريمة، والمأساة تلو المأساة والظلمات فوق الظلمات من معاوية ويزيد والحجّاج والسفّاح وهارون والمتوكل وهولاكو والمسمّى (صلاح الدين الأيّوبي) وأرباب العنصرية والطائفية المذهبية التي أودت إلى الانتهاكات والنهب على يد الاستعمار الحديث.

إقرأ عن صلاح الدين التكريتي (الأيّوبي) الذي يتبجّح بسيرته الظالمة الكثير ممن يحسبون أنفسهم

على الإسلام، فممّا كتبه محبّوه أنفسهم أنه أمر ذات مرّة بإحراق سكّان منطقة صلاح الدين ذاتها بالنفط والنار، والتي كان سكّانها آنذاك يربو على خمسين ألف إنسان، كما قام بالفعلة نفسها في مناطق أخرى، فضلاً عن قطع الأرزاق عن الناس عبر إحراق المزارع والمواشي مروراً بإحراقه كثيراً من الكتب الإسلامية في مصر وإشعال مواقد حمامات القاهرة بأوراقها لعدة أيام[1].

ولا عجب أن يتبجّح عتاة العراق الماضون بهذا الطاغية ويتّخذونه قدوة لهم، بدلاً من التأسّي بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله.

نعم، كلّما ازداد الظلم من قبل الحاكم، تطلّع المحكومون إلى عدالة الإسلام الأصيل، أكثر. ولا

(١) دراسات في الحديث والمحدثين: ٢٥ ـ ٢٦.

يتيسّر رفع الظلم والحيف عن الناس مالم ينتشر الوعي وتتلاحم الأيدي وتتّحد القلوب وترتفع الأكفّ، بالدعاء إلى الله تعالى لنيل الخلاص.

واليوم؛ حيث ولّت صفحة سوداء من الطغيان والتجبّر الذي عانى منه أهل العراق، لابدّ لنا كشعب أصيل أن نعي الواقع ونتحسّس ثقل المسؤولية الملقاة على عواتقنا، فيأخذ بعضنا بأيدي بعض، ونقوم بكلّ ما من شأنه تحسين الأوضاع السياسية والثقافية والاقتصادية، لتلافي ما تعرّضنا له من دمار شامل على أيدي الظالمين ولنفوّت الفرصة على أعدائنا الطامعين في ابتزاز لقمة عيشنا وتشتيت وحدة كلمتنا وتحريف صحيح عقائدنا... وكذلك لنلحق بركب الأمم التي سبقتنا نحو التقدّم بأشواط طويلة بعدما كانت وراءنا.

الدستور العراقي والإسلام

إنّ القوانين في العراق يجب أن تستضيء بنور الإسلام وأهل البيت سلام الله عليهم، لما لهما من بصمات فريدة في تاريخ الإنسانية، والباحث المنصف لا يجد بدّاً من الحكم بذلك.

كان الناس قبل الإسلام شعارهم الخوف ودثارهم السيف، يستولي القويّ على الضعيف، وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله برسالة ربّانية منحت الجميع فرصاً متساوية، فأصبح كلّ إنسان يقوم بما يريد ما لم يضرّ أحداً، وذلك بناءً على القاعدة التي أرساها الدين الإسلامي والقائلة بأن: «**لا ضرر**

ولا ضرار في الإسلام» فأصبحت هذه القاعدة القانونية خطاً أحمر وسبباً جديراً لانتفاء كثير من المساوئ والأمراض الفردية والاجتماعية، ومن ذلك انتفاء ظاهرة السرقة التي يحاسب عليها الدين ويعاقب فاعلها العقوبة القضائية المعروفة، إذ لم يسجّل التاريخ المتاح لدينا سوى ست سرقات على امتداد رقعة الدولة الإسلامية منذ عهد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حتى عهد الإمام الجواد سلام الله عليه، أي حصول سرقة واحدة تستحقّ إجراء الحدّ الشرعي في كلّ ثلاثين سنة تقريباً، رغم فساد كثير من الحكّام وتطاولهم على الحقوق العامّة.

فحينما حدثت سرقة في زمن إمامة الإمام محمد الجواد سلام الله عليه، وكان الحاكم إذ ذاك

المعتصم العباسي اختلطت عليه وعلى قضاته كيفية إقامة الحدّ على السارق، حتى قام الإمام الجواد سلام الله عليه بحلّ المسألة وفق الشريعة المحمدية الصحيحة[1].

إنّ دستور الإسلام الراقي يختلف عن كلّ الدساتير الوضعية التي سنّها أناس قاصرون أو مقصّرون، إذ الدستور الإسلامي كفيل ليس فقط بتقليل الجريمة والحدّ منها، بل بانتفائها والقضاء عليها نهائياً.

فإذا طابقت القوانين العراقية الجديدة تعاليم القرآن الكريم وسنّة النبيّ الأكرم وتعاليم أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، فلسوف يرفل العراق حتماً بأفضل

(١) بحار الأنوار: ٥٠/ ٥ ح٧.

النعم في المستقبل إن شاء الله تعالى، ويكون مناراً يتعلّم منه الغربيون وغيرهم سبل التحرّر.

ولكن هذا بحاجة ماسّة إلى تعبئة ومواصلة وهمّة قصوى من جميع العراقيين المخلصين وكذلك الى أمن العراق الذي يصنعه أبناؤه. وحيث نقول بأنّ العراق لا يصلحه إلا أبناؤه، كذلك لابدّ من إضافة التركيز على ضرورة تعاون الجميع وتظافر جهودهم البنّاءة، كلّ في إطاره وبقدر طاقته الفكرية والعملية والمالية والاجتماعية والسياسية.

فلو عمل الجميع متظافرين في هذا المجال، لإحلال الأمن والاستقرار، لكان العراق نموذجاً طيّباً يحتذى به في جميع أرجاء المعمورة.

الإسلام يؤاخي بين كلّ العراقيين

إنّ المشكلة الكبرى للعراق وللمسلمين عموماً هي مشكلة اليهود... وهذه مشكلة كبرى حقّاً... ولكنها أيضاً مشكلة حلّها رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه وفي سنوات قليلة.

فمع أنّ القرآن الكريم قد صرّح بضراوة عداء اليهود للإسلام، من خلال قوله تعالى: «***لتجدنّ أشدّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود...***»[1] وهو تصريح صارم وواقعي تماماً؛ نظراً لمواقف اليهود العدائية والنفاقية ضدّ الإسلام ودولته الوليدة آنذاك، ولكننا نلاحظ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله استطاع أن يخلّص المسلمين من مشكلتهم عبر

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٢.

عدّة حلول، كما كسب الكثير منهم الى صفّ الإسلام بفضل التشريعات الإلهية الحكيمة.

فممّا سنّه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من موادّ قانونية خاصّة مذكورة في كتب الفقه والتاريخ بهذا الشأن، ما وصفه الإمام جعفر بن محمد الصادق سلام الله عليه بقوله:

> «***ما كان سبب إسلام عامّة اليهود إلا بعد هذا القول من رسول اللّه*** صلى الله عليه وآله». يعني قوله صلى الله عليه وآله: «***من مات وله مال فلوارثه، ومن مات وترك ضياعاً أو دَيناً فإليّ وعليّ***»[1].

(١) تفسير نور الثقلين: ٤/ ٢٣٧، رقم١٦ تفسير قوله تعالى: «***النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم...***» الآية: ٦ من سورة الأحزاب.

فتحوَّل الرأي العامّ اليهوديّ إلى الإعجاب بقانون الإسلام من خلال هذه المفردة في دستوره، وقالوا: ما أحسن هذا الدين، فلنذهب ونعلن إسلامنا، لأنّا إذا جمعنا مالاً ومتنا فإنّ رئيس الدولة لن يأخذ منّا ضريبة الإرث، وإن كنّا فقراء لا نملك شيئاً، ومتنا، فإنّه سيكفل عوائلنا من بعدنا، ويقضي عنّا ديننا إن كنّا مدينين. وهكذا أسلم كثير منهم يتقدّمهم بعض علمائهم الذين توجّهوا إلى الإسلام زرافات ووحداناً، وحُلّت أكبر مشكلة كان يعاني منها المسلمون بحكمة التشريع الإسلامي الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله. وهذا هو قانون الإسلام والسماء، ولم يقتصر الأمر على اليهود بل شمل كلّ الطوائف النصرانية والمجوسية وغيرهما من الطوائف التي كانت

تسكن الجزيرة العربية. وهو موجود في كتب الفقه والسيرة والحديث.

فإذا سادت روح الشريعة السمحاء بين أوساط العراقيين يحدوهم التعاون والانسجام والوعي ـ وهو المؤمّل ـ فإن عراق المستقبل سيكون عراقاً ينعم في ظلّه جميع العراقيين بالخير والأمان، وعلى مختلف أطيافه إن شاء الله تعالى.

دور العشائر والأخذ بزمام المبادرة

لابدّ من القول بأنّ زعماء العشائر العراقية الطيّبة يمثّل كلّ واحد منهم وارثاً لسلسلة من المشايخ والزعماء التاريخيّين.

فهؤلاء قد ورثوا عن أسلافهم القيم والمثل العليا يدعمها الإيمان بالله تعالى والاعتقاد الحقّ بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم. كما أنهم ورثوا ـ أو ينبغي أن يكونوا قد ورثوا ـ الهمّة في احتواء الشباب والأخذ بأيديهم في السير على طريق الحقّ وعدم الانجرار إلى طرق الباطل.

إنّ العراق ـ كما هو معروف ـ كان ولا يزال

منطقة عشائرية، والعشائر العراقية لها تأريخ عريق، مليء بالمكرمات، منها ـ على سبيل المثال ـ قيامها بثورة العشرين ـ بقيادة علماء الدين ـ ورفضها القاطع للاستعمار البريطاني الذي كان جاثماً على صدر العراق في بدايات القرن العشرين، حيث استطاعوا ـ ونفوس العراق إذ ذاك لا يزيد على الخمسة ملايين مواطن ـ أن يقفوا بوجه أعتى قوّة عسكرية في العالم، مستمدّين العون من الله تعالى وعناية أهل البيت سلام الله عليهم.

وقد آن الأوان لأن يورث العراقيون اليوم أبناءهم والأجيال القادمة كامل الاستعداد للتضحيات والبسالة التي ورثوها عن أجدادهم؛ الأمر الذي يعني ضرورة أن يقوم كلّ فرد عراقي بالعمل في مجاله على تربية أبنائه على الإيمان بالله

تعالى والتمسّك بمبادئ العدل والحقّ وبضرورة الدفاع عنها والتضحية من أجلها.

وبما أنّ العراق يعيش أجواء الحريّة ـ أو هو مقبل عليها ـ لذا ينبغي الاستفادة من هذه الفرصة بما للكلمة من معنىً ورفد الطاقات البنّاءة من خلال تكريس الوعي والعمل على المحافظة على الأبناء وتوصيتهم في الاستعداد للإيثار والتضحية والتكاتف، وتقديم مصلحة الجمع على مصلحة الذات، ووحدة الكلمة.

وكما أن الناس اليوم يقرأون تاريخ العراق من خلال تصرّفات ووقائع جيله الحاضر، كذلك سوف يُقرأ تاريخ الجيل الحاضر عبر تصرّفات الجيل القادم. ولن يكون تأريخ الجيل الحاضر تاريخاً سامياً ما لم يبذل الآباء قصارى جهودهم في

تربية أبنائهم وحفظهم من الوقوع في الرذيلة والمشاكل الخطيرة لاسيّما وأنّ العراق يشهد تكالباً شيطانياً من مختلف القوى والاتجاهات على نهب خيراته، وتضييع هويته الثقافية والدينية، إذ تسعى شتّى الأطراف الطامعة في العراق إلى أخذ نصيبها من خلال طمس ثقافة العراقيين أو تزييف واقعهم السياسي أو تدمير إمكاناتهم الاقتصادية بعد نهبها.

إذاً فالمسؤولية الملقاة على عاتق الآباء في هذه الفترة من تاريخه أثقل من أيّ وقت آخر تجاه جيل الشباب والأحداث اليافعين الذين يمثّلون الجزء الأهمّ من الثروة الحقيقية المعرَّضة للانتهاب من قبل الأعداء بمختلف أقسامهم، لذا من الضروري أن يعي الآباء مسؤولياتهم المهمّة والخطيرة في هذا

المضمار.

يُنقل أنّ أحد الملوك مات وخلّف ابناً شابّاً له، فكان هذا الشابّ يتكاسل عن النهوض باكراً لتفقّد شؤون الرعية والجلوس في الديوان لاستقبال الناس. وكان لوالده الملك الراحل وزير ناصح، قد أخذ يكثر من النصح له وحثّه على الجدّ والالتزام، مواظباً في العمل على إيقاظه في صباح كلّ يوم. فانزعج الملك الشابّ من هذا الإصرار من قبل الوزير، فاستدعى جماعة من شرطته ليعترضوا الوزير في طريقه لئلاّ يأتي لإيقاظه، والحيلولة دون دخوله إلى القصر مبكّراً.

وفي صباح اليوم التالي اعترضه رجال الملك وأشبعوه ضرباً ومزّقوا عليه ثيابه، مما اضطرّه للعودة إلى بيته ليصلح شأنه ويستبدل ثيابه، واستغرق منه

وقتاً ليس بالقصير، ثم توجّه إلى قصر الملك ودخله متأخّراً، فرآه جالساً على عرشه ومن حوله الناس والشخصيات!! فتصنّع الملك معاتبته وسؤاله عن سبب تأخّره وهو الذي لم يعهد منه ذلك، فقصّ عليه الوزير حكايته. فقال له الملك: هذه عاقبة خروجك مبكّراً.

فقال له الوزير الذي لا يبطن له سوى النصح والإخلاص: أصلح الله الملك، إنّ العصابة التي اعترضتني كانت قد سبقتني في الخروج إلى الطريق، ولو كنت قد خرجت قبلها ما كنت لأصاب بهذا البلاء.

والعبرة من هذه الحكاية وأمثالها؛ هي أهمّية المبادرة والإسراع في المحافظة على جيل الشباب والأبناء لئلاّ تتلاقفهم أيادي العصابات المتحفّزة

لسرقة عقولهم بعد غسل أدمغتهم وصياغتها وفق مصالحها الشيطانية والمعادية لمصلحة البلاد والمجتمع.

إنّ المسؤولية تكاد تكون في أعظمها منصبّة على عاتق الآباء العراقيين في حفظ أبنائهم وتوعيتهم، لإنقاذهم من المخاطر الداهمة، من كلّ حدب وصوب، خصوصاً في ظلّ السهام القاتلة التي ترميها الفضائيات في كلّ لحظة نحو أدمغة الشباب وغرائزهم وفي ظلّ انخفاض معدّلات الزواج.

فاللازم على الجميع خاصّة ذوي المناصب الاجتماعية والروحية أن يبذلوا قصارى جهودهم لملء الفراغ الموجود وبالطرق الصحيحة والمجدية، ليجد الشابّ العراقيّ الطموح بديلاً أفضل عن كلّ المساوئ والتفاهات، وليكون فكره عامل بناء

لمستقبل العراق، بدلاً من أن يتحوّل إلى وسيلة هدم وتخريب.

الصلح خير من الخلاف والشقاق

ثمّة مطلب مهمّ آخر، وهو: إنّ حصول الاختلاف أمرٌ طبيعيٌ بين البشر، فقد يحدث الاختلاف حتى بين الأخوين التوأمين، حيث يختلف تفكير هذا عن ذاك، وأمّا في المسائل الاجتماعية، فالخلافات قد تشتدّ وهي تسبّب ضرر الجميع. قال الله تبارك وتعالى: «***ولا تنازعوا فتفشلوا***»[1].

فاللازم ـ بالإيمان والوعي لمصلحة البلاد والعباد ـ بذل الجهود لتحويل الخلاف والاختلاف إلى الوئام والائتلاف. فالرغبة في طيّ المراحل

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

الصعبة وتجاوزها لا تتحمّل الانغماس في الخلافات، فانغماس أهل الدار الواحدة في الخلافات يسهّل سرقتها وخروج السارق بالمسروقات آمناً مطمئنّاً دون قوّة رادعة أو رقيب، بل إنّ تفاقم الخلافات يدفع بسرّاق الأرض لأن يتكالبوا على مهاجمة أصحاب الدار.

إنّ زعماء العشائر الغيارى وذوي النفوذ الاجتماعي والروحي في العراق جميعهم مكلّفون أكثر من أيّ وقت مضى لأن يؤدّوا مهمّتهم التعبويّة التي تقتضي عدم الانحياز إلى طرف دون آخر، والسعي لتهدئة وحلّ الأمور من أجل التفرّغ كلياً إلى عملية التطوّر والبناء. وقد جاء في الحديث الشريف عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «***الصلح سيّد***

الأحكام»[1]. ومن قبله قال سبحانه وتعالى: «***والصلح خير***»[2]؛ فهو خير من الانجرار وراء الخلافات، فتحكيم الحلول الوسطى في مرحلة الاختلاف والتغيرات الاجتماعية الكبرى، أفضل خيار وأتقن حكمة.

(١) بحار الأنوار: ١٧٠، رقم٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٨.

مسؤولية الإعمار والبناء

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: *كلّكم راعٍ، وكلّكم مسؤول عن رعيّته*[1]، فالمسؤولية تشريع وحكم وإحساس، كما يفهم من هذا الحديث الشريف.

فأمّا كون المسؤولية تشريعاً وحكماً، فلأن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله هو الذي صرّح بها مبيّناً ركائزها وعلى من تدور. وأمّا كونها إحساساً، فهذا ما يرتبط بنا. فبأيّ قدر يحسّ كل واحد منا بهذا التشريع وهذا الحكم؟

(١) مستدرك سفينة البحار: ٤/ ١٦٩.

إنّ هذه المسؤولية ملقاة على عواتق عموم الناس، ولكنّها اليوم مسؤولية استثنائية وخاصّة.

لقد ابتلي العراق اليوم ـ رجالاً ونساءً وشيباً وشباباً ـ بما يمكن تسميته بالأزمة المزدوجة.

فهو منذ أكثر من خمسين عاماً ينتقل، أو ينقل، من أزمة إلى أخرى، ومن أمر شديد إلى أشدّ، ومن صعب إلى أصعب. أمّا في الوقت الحاضر، وبعد أن تغيّرت الظروف أخذ العراق يمرّ بأوضاع معقّدة جدّاً؛ ولا يعلم مداها إلا الله تبارك وتعالى.

لقد مضى أربعون عاماً ونيّف، ولا تزال الأزمة مستمرّة، فبالنسبة إلى السابق، تحدّثت الكتب والتقارير ـ التي نشرت عنها، والأشخاص الذين تحرّروا من المعتقلات ـ عن عظيم المصائب والرزايا التي تعرّضوا لها في الأقبية والطوامير المهولة.

الآن؛ وقد تبدّلت الأوضاع، يا ترى كيف سنتعامل معها؟ لا مهرب من الإعمار والبناء لعراقنا لئلاّ نسقط في دهاليز تجربة العقود الماضية.

الإعمار الثقافي والاستلهام من أهل البيت سلام الله عليهم

إنّ مآسي العراق، قد مرّ نظيرها في تاريخ الأئمّة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم، الأمر الذي يحرّضنا على استلهام الدروس المضيئة منهم، في كيفية مواجهة وتحدّي الأزمات والعمل على إنجاز التغيير المطلوب، فنتعلّم منهم ماذا علينا أن نفعل، وما هو طريق الخلاص.

إن قصّة النزاع الذي دار بين بني أُميّة باعتبارهم الفئة الحاكمة، وبين بني العباس ـ باعتبارهم ينادون بالخلاص من الظلم والجور تحت شعار الدعوة إلى الرضى من آل محمد سلام الله عليهم ـ قد جرت في عهد

الإمامين الباقر والصادق سلام الله عليهما، إذ كانت سائر البلاد الإسلامية خاضعة للسيطرة الأموية على مدى حوالي ثمانين عاماً، فعلوا خلالها كلّ ما حلا لهم. وعندما جاء بنو العباس تحت ذريعة إنقاذ الناس من طغيان بني أمية، سرعان ما تكشّف للناس أمرهم في ميدان العمل والتطبيق منذ البداية[1].

في خضمّ تلك التحوّلات والأوضاع كان أمام الإمامين الباقر والصادق سلام الله عليهما ثلاثة خيارات:

١. أن يدعوا المسلمين عموماً، والشيعة خاصّة للوقوف إلى جانب بني أمية، وفي ذلك استمرار لعمليات القتل والإرهاب.
٢. أن يدعواهم لتأييد بني العباس، وهما يعلمان أنّ الأوضاع ستتفاقم وتزداد سوءاً

(١) راجع تاريخ الطبري، ج٦.

تحت مظلّة أدعياء الإنقاذ الجدد.

٣. أن يشقّا طريقاً ثالثاً لا يقتصر التفكير فيه على تلك الفترة الزمينة المحدودة.

ولكن المتتبّع للتأريخ الإسلامي يعلم أن هناك شيئاً واضحاً في أدقّ دقائق تاريخ الأئمّة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم، وهو ما يمكن تسميته ببعد النظر وعميق الحكمة والفكر.

فهم سلام الله عليهم لم يقصروا فكرهم على تلك الفترة الزمنية المحدودة، وإنما أخذوا بالحسبان ما بعد ذلك اليوم العصيب، بل وما بعده بمئة أو ألف عام، في كيفية قيادتهم للنخبة المؤمنة من الشيعة، وطريقة أمرهم ونهيهم وتوجيههم لهم.

فقد أنجز هذان الإمامان العظيمان في تلك الفترة التاريخية الخطيرة ما أصبح سبباً في أنّنا نستطيع

اليوم أن نعرّف العالم بأسره بالإسلام الصحيح.. إسلام رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين سلام الله عليه، إذ قاما سلام الله عليهما بمعالجة التصدّعات التي عمّت الكيان الإسلامي المترامي الأطراف قطعةً قطعةً بل لبنةً لبنةً. فاستغرق الأمر سنين مديدة.

ورغم المشاكل الكثيرة التي واجهها الإمام الصادق سلام الله عليه في بدايات الحكم العباسي، إلا أنّه تمكّن من أن يربّي أربعة آلاف تلميذ، مما يعني أنّه سلام الله عليه تمكّن من توعية وتفهيم أربعة آلاف عالم وطالب علم أحكام الإسلام الصحيح؛ أصولاً وفروعاً، واجبات ومحرمات، مستحبّات ومكروهات، عقائد ومبادئ وجعل علم الدين والدنيا بين أيديهم، كما بيّن لهم وكرّس فيهم أخلاق الإسلام وآدابه، وكذلك الأحكام السياسية للإسلام وأحكام الاقتصاد

والمجتمع، وغير ذلك.

إنّ المتتبّع يلحظ بسهولة أنّ أكثر من خمسين بالمئة من مجمل روايات وأحاديث الأئمّة الأثني عشر المعصومين سلام الله عليهم التي بين أيدينا اليوم تعود لهذين الإمامين ـ الباقر والصادق سلام الله عليهما ـ والباقي يعود لسائر الأئمة سلام الله عليهم.

نعم، هكذا اغتنم الإمامان الباقر والصادق سلام الله عليهما فرصة النزاع الأمويّ ـ العباسيّ على الوجه الذي استطاعا به حقن دماء الشيعة من جهة، وتبيين الإسلام الصحيح والأصيل ـ الذي هو في متناول أيدينا اليوم ـ من جهة أخرى.

إنّ الإمام الباقر والإمام الصادق سلام الله عليهما قد أحدثا في تلك الفترة الزمنية تيّاراً عظيماً؛ امتدّ أثره إلى يومنا هذا. ولو أنّ المؤرّخين دقّقوا قليلاً لوجدوا أن

أكثر المسيحيين واليهود والمجوس والملحدين الذين أسلموا في عهد الأئمّة المعصومين هم ممّن عاصر هذين الإمامين العظيمين أو من تلاهم من الأئمّة.

فهكذا ينبغي أن نكون مع قلّة الناصر وكثرة الغادر وإحاطة الفتن، نقتدي بإمامينا الباقر والصادق سلام الله عليهما لننقذ العراق وأهله مما نخاف منه عليه.

كربلاء قلعة حصينة في مواجهة المدّ الشيوعي

اجتاحت الشيوعية العراق في أواسط القرن الماضي، وغزت صحفها ومجلاّتها ووسائلها الإعلامية معظم ربوع العراق وتأثّر بها الكثير من أنصاف المثقّفين بل حتى بعض رموز السلطة الحاكمة آنذاك، وكان الشيوعيون يوزّعون الكتب بأعداد هائلة جداً بالمجّان، ووقع ذات مرّة في يدي

أحدها وطالعتُ بعض صفحاته التي تتجاوز الثلاثمئة صفحة، وكان يحمل عنوان «أين الله؟!» للكاتب الشيوعي «مكسيم غورغي» الذي افتتحه بعبارة: أنا ابن الخطيئة. وكانت هذه العبارة التافهة كفيلة بإفهام القارئ ما يحتويه ذاك الكتاب. وهكذا امتلأ العراق بكتب الشيوعية الصغيرة والكبيرة، مما أحدث مدّاً إلحادياً رهيباً زرع اليأس في القلوب.

وكان الماركسيّون يواجهون من يخالفهم بكلّ عنف ووحشية، حتى أنهم ـ بمرأىً من الناس ـ كانوا ينهالون عليه ضرباً متواصلاً حتى يسقطوه جثّة هامدة على الطريق، وهناك قصص كثيرة في هذا المجال قد عاصرتها بنفسي.

بإزاء هذه المعضلة، اقترح السيد الوالد رحمه الله وهو مرجعٌ في زمانه ـ وكان أخي الأكبر قدّس سره حاضراً ـ

على أهل العلم أن يقوم كلّ واحد منهم بأداء واجبه ومسؤوليته الثقافية والدينية عبر المساجد والحسينيات وإقامة حلقات الدروس لجيل الشباب خصوصاً، ويبيّن لهم أصول الدين وفروعه، ويردّ على شبهات الشيوعيين وما كانوا يبثّونه من سموم من خلال الإذاعة والتلفزيون والمجلاّت والخطب، وفي المدارس والجامعات، مما حدا بالشباب لأن يختلفوا إلى أهل العلم في حلقاتهم الدرسية تلك ـ بعد أن تجسّد اقتراح السيد الوالد رحمه الله على أرض الواقع ـ ويطرحوا أسئلتهم، ويتلقّوا الإجابات، فإذا عجز متصدٍّ ما عن الردّ الشافي، قصد من هو أعلم منه، وهكذا. حتى أنّ بعض مدرّسي المستويات العليا، كانوا قد شكّلوا حلقات ودروس توجيهية لتلاميذ المدارس الابتدائية. كما ساهم كلّ من أخي

الأكبر السيّد محمد الشيرازي والسيّد حسن الشيرازي قدس سرهما بشكل فعّال في مواجهة المدّ الشيوعي آنذاك من خلال حلقات الدرس أو الصحافة و... .

وأنا أيضاً وكنت يومذاك أحد طلبة المقدّمات وقد أقمت خمسة مجالس في خمس مناطق في مدينة كربلاء المقدّسة.

إنّ هذه الحركة والانطلاقة التثقيفية ـ فضلاً عن المجالس والمنابر الأخرى ـ لعبت دوراً فعّالاً أدّى إلى تجفيف جذور الشيوعية في مدينة كربلاء وحفظ أهلها وشبابها ـ وإلى حدّ كبير جداً ـ عن أن يتلوّثوا بسموم هذا الفكر الإلحادي الخطير، حتى أن كثيراً من الشباب الذين انجذبوا الى حلقات تلك الدروس التوعوية، قد أصبحوا بعدئذ من جملة طلبة العلم، ومدرّسي العلوم الدينية وأئمّة المساجد والمجتهدين.

عراق اليوم يبحث عمّن يتحمّل المسؤولية

إنّ عراق اليوم والمستقبل يحتاج إلى أبنائه في تحمّل المسؤولية بكلّ أمانة وثقة. وإحداث هذا الأمر يمكن عبر تزريق الثقافة الإسلامية والإنسانيّة الأصيلة في دمائهم.

فالعراقيون بحاجة ماسّة إلى تنفيذ برامج تثقيفية وتوجيهية كفيلة بانتشالهم من الواقع المرّ الذي ذاقوه، خصوصاً وأنّ شباب العراق لديهم اليوم المزيد من التعطّش للدين، وهم ينتظرون من يقوم بتعليمهم وتربيتهم.

فما نسبته أربعون بالمئة ـ أي أكثر من عشرة ملايين إنسان من سكان العراق الذين يبلغ عددهم حوالي خمساً وعشرين مليون نسمة ـ هم من الفتية والشباب الذين جاءوا إلى الدنيا وعاشوا بعيدين عن

الثقافة القرآنية الأصيلة، ولا يعلمون عنها شيئاً، وهم بذلك يريدون أن يتعلّموا ويفهموا حقيقة دينهم ويطّلعوا على معالم تاريخهم بعد الكبت والاضطهاد السلطوي عبر عقود من الزمن.

ولأجل أن يتيسّر هذا ينبغي لنا رفدهم بكلّ ما يحتاجون من الكتب والمجلاّت والأشرطة الدينية وسائر مصادر العلم والمعرفة، وتهيئة ما يحتاجونه من المربّين والمبلّغين، والمدارس والحوزات العلمية[1].

ومما يبعث على الأسف والأسى أنّ (الآخر اللاّديني) قد سبقنا في التفكير والتخطيط لهذا الأمر، حتى قيل إنّ الغربيين اليوم يخطّطون لبناء خمس وعشرين ألف

(١) قال الإمام الصادق سلام الله عليه: «*عليك بالأحداث، فإنّهم أسرع إلى كلّ خير*». الكافي: ٨/ ٩٣، ح٦٦.

مدرسة في أنحاء العراق كافّة، بمعنى أن الخطّة الغربية بهذا الصدد ستستوعب حوالي خمسة ملايين طالب ـ جلّهم من الشباب الشيعة بطبيعة الحال ـ وبالطبع، فإنّ الغربيين لديهم من الإمكانات الماديّة ما يمكّنهم من تنفيذ هذه الخطّة الرهيبة!! فهل العراق عراقهم؟ أليس العراق عراق الإسلام وأهل البيت سلام الله عليهم وعراق الشيعة والمسلمين؟ ومن هو الأولى بإعماره؟

لا يتصوّر أحد أنّ العراقيّين عاجزون عن فعل شيء حيال مستقبل بلادهم، فرغم أنّ أولئك الغربيين وأتباعهم لديهم إمكانات وأموال هائلة، إلا أنّ لدى العراقيين ما يفتقده أعداؤهم، وهو الاعتقاد الحقّ بأهل البيت سلام الله عليهم.

علينا أن نفعل ما نترجم به مسؤوليتنا تجاه العراق ونرسم طريقنا، بغضّ النظر عن هذا المتآمر أو ذاك،

ولا نكفّ أيدينا من البناء والاعمار رغم علمنا بأنّ الغربيين بصدد تنفيذ مشروعهم التخريبي؛ عبر تجنيدهم مختلف أصناف الخبراء الاقتصاديين والسياسيين والاجتماعيين والنفسيين وغيرهم للعمل في العراق، وإن كانوا يمنحونهم ـ كما قيل ـ المخصّصات والرواتب منذ الآن، بمعنى أنهم قد استخدموهم رسمياً، ليكونوا على كامل الاستعداد والتأهّب ليتمكّنوا من إرسالهم حينما يحين وقت الحاجة إليهم. فهل سيقوم هؤلاء ببناء المساجد والحوزات العلمية لشبابنا في العراق؟! لعلّنا نعلم مسبقاً طبيعة المشاريع المزمع إقامتها في العراق من قِبل الغربيين، الأمر الذي يحتمّ علينا كعراقيين أن لا نغفل كما غفلنا في السابق، ولا نكون طمعاً للسارقين.

ما كان لله ينمو

من كان مع الله كان الله معه، ومن كان الله تعالى معه، وكانت له جديّةٌ وإصرار على العمل فلاشكّ أنه سينجح في عمله وينال الموفّقية، إذ إنّ ما كان لله ينمو. لا أقصد أن الطريق سهل معبَّد، وأنه لا وجود للمشاكل والعقبات والمتاعب، فبلدٌ كالعراق قد عانى عقوداً طويلة من العزل والبطش والإرهاب وما إلى ذلك، في ظلّ أعتى ديكتاتورية في العالم، وعاش الناس فيه دهراً في ظلام حالك، لا شكّ يكون مطوّقاً بأنواع الاحتياجات والنواقص.

فعراق اليوم بحاجة الى تظافر الجهود ومضاعفة العمل على كلّ الأصعدة بدءاً من الكتب والمجلاّت الدينية، مروراً بإنشاء المدارس والحوزات العلمية، وإرسال الخطباء والمربّين والتوسعة في المستشفيات

والمراكز الصحيّة والاجتماعية وغير ذلك. وهذا الأمر يُلزمنا بل يدفعنا إلى الإمساك بزمام المبادرة، والعمل بالمستوى الرفيع من المسؤولية إزاء أسرنا وأصدقائنا وكلّ من يصادفنا، لضمان مستقبل العراق وشعبه.

لذا فمن الضروري أن يفكّر كلّ منّا في ما يستطيع أن يفعله بشأن مستقبل العراق. ولهذا الغرض يحدونا الأمل في إنشاء مجالس تعبويّة بغية دراسة الأوضاع، لتتولّد منها لجان ذات مهامّ وتخصّصات مختلفة، بحيث تغطّي احتياجات الشعب العراقي بكلّ شرائحه ولجميع مدنه. فلا يتكاسل طرف ما في عمله تحت مبرّر وجود جهات أخرى قد تقوم أو قامت بتأسيس مراكز ولجان مشابهة، أو كون الآخرين قد يقومون بهذا العمل أو ذاك، لأنّه مهما خطّطنا وهيّأنا لمستقبل العراق، فهو لاشكّ أقلّ من الحاجة.

(قل كلٌّ يعمل على شاكلته)[1]

أُؤكّد على الإخوة المؤمنين أن يبادروا إلى إنشاء لجان تتألّف ولو من شخصين أو أكثر، لتأخذ على عاتقها مهمّة التخطيط وتهيئة الأموال اللازمة والعمل بسرعة. فالمهمّ للغاية أن لا تترك الساحة للجهات المنحرفة لأن تقوم بإعمار البلاد وفق ما تمليه عليها مصالحها البعيدة عن حاجة العراق الحقيقية، لأننا نحن الذين يجب أن نقوم بعملية الإعمار وإن لم نتصدّ لأداء ذلك، ستتكرّر علينا المصائب لثلاثين أو أربعين سنة أخرى دون ريب.

إذاً؛ على الجيل الحاضر أن لا يتأخّر في تقديم أيّة خدمة أو عمل يمكن أن يساهم به خدمة للأجيال القادمة، لئلاّ تعود ذات المشاكل وسوء

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٤.

الظروف عليه. ولا يغيب عن أذهاننا أنّ المؤمنين سيتقاطرون على العراق للزيارة من شتى بقاع العالم، وسيكونون على استعداد لتوظيف كثير من أنشطتهم في المجالات الثقافية والاجتماعية والسياسية والصحيّة في العراق.

ومن الجدير التنبّه إلى قضية مهمّة للغاية، وهي أنّ هناك الآلاف من شباب العراق في الوقت الحاضر يعانون العجز أو الصعوبة في تشكيل الأسر، لذا يلزم التفكير في حمل همّهم في هذا المجال، من خلال تأسيس لجان تسهيل ودعم الزواج، دون التقاعس وانتظار الغربيين ليأتوا بالملاهي فيقيموا مراكز الانحلال والفساد. إذاً فنحن ملزمون بالإمساك بطرف الحبل والبدء بالعمل على أسرع وجه. فلا ندع الآخرين ـ من غربيين ووهّابيين ـ يستلمون

زمام المبادرة بهذا الشأن، لاسيّما وأنّ بعض التقارير تذكر أنّ الوهابيين بصدد إعداد الخطط والبرامج لمستقبل العراق، في محاولة مشتركة مع الغربيين لغزو العقل العراقي من نافذة الحرمان والفقر الذي أسّست له الديكتاتورية العفلقية، فعلينا أن لا نسمح ـ من خلال نشاطاتنا وأداء مسؤولياتنا الجسام ـ لهؤلاء بأن يصنعوا بالعراق خلافاً لما يريد الله تعالى والإسلام وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم. وهذا يتطلّب منّا التحرّك والعمل الفوريّ والواعي، لأن البيوت بيوتنا، والأرض أرضنا، والأهل أهلنا.

والحمد لله ربّ العالمين.